كل ما يمنح الشريف شريف

وسأله سيف الدولة عن صفة فرس يرسله إليه فقال ارتجالاً:

[الخفيف]

مَـوْقِـعُ ٱلْـخَـيْـلِ مِـنْ نَـدَاكَ طَـفِـيـفُ
وَلَـوَ انَّ الْـجِـيَـادَ فِـيـهَـا أُلُـوفُ(١)
وَمِـنَ الـلَّـفْـظِ لَـفْـظَـةٌ تَـجْـمَـعُ الْـوَصْـ
ـفَ وَذَاكَ الـمُـطَـهَّـمُ الـمَـعْـرُوفُ(٢)
مَـا لَـنَـا فِـي الـنَّـدَى عَـلَـيْـكَ ٱخْـتِـيَـارٌ
كُـلُّ مَـا يَـمْـنَـحُ الـشَّـرِيـفُ شَـرِيـفُ(٣)

يا شرّ لحم

وقال في عبده إذْ أخذ فرسه وأراد قتله:

[المنسرح]

أَعْـدَدْتُ لِـلْـغَـادِرِيـنَ أَسْـيَـافَـا
أَجْـدَعُ مِـنْـهُـمْ بِـهِـنَّ آنَـافَـا(٤)

= مستعدّ ليفديه بنفسه، وهو يدعو له بالبقاء، رغم عدم رفقه به، لذا فلو أراد قتله، فليكن ذلك بيده لا بيد غلام اشتراه بماله، فذلك أشرف للشاعر لأنه شريف وحرّ مثله، وفي ذلك فخر له إن قتله أمير عربي عظيم.

(١) و (٢) الندى: الكرم. الطفيف: القليل. المطهّم من الخيول: التام الجمال. يُخاطب الشاعر ممدوحه بأنه كريم وقد توالت عليه عطاياه بكثرة، ورغم جمال هذا الجواد التام الخلق، فإنه نزر من خيره العميم، فقد تلقّى منه ألوفاً أمثال هذا الجواد؛ إنه جواد مطهّم واللفظ يشترك جنس الجياد به، وقد خيّره الأمير في اختياره فإنه يختار هذا الجواد دون غيره لمعرفته به وبمواصفاته.

(٣) يعتذر الشاعر من الأمير بأدب جمّ بأنه طلب منه تحديد مواصفات الجواد المرغوب به، فحدّد مواصفاته بناءً لأمر الأمير، ومن حسن أدبه أنه جعل الأمر بيدي الأمير فلا اختيار للشاعر في ما يُعطى، ذلك أن الشريف لا يهب إلّا الشريف في كلّ ما يُعطي.

(٤) أعدّ: هيّأ. جدع الأنف: قطعه إمعاناً بالإذلال، لقد هيّأ الشاعر للغادرين من عبيده الذين أرادوا سرقته سيوفاً ليقطع أنوفهم إمعاناً بإذلالهم وتحقيرهم وتشويههم.

لا يَـــرْحَـــمُ الـــلَّـــهُ أَرْؤُســـاً لَـــهُـــمْ
أَطَـــرْنَ عَـــنْ هَـــامِـــهِـــنَّ أَقْـــحَـــافَـــا[١]
مَـا يَـنْـقِـمُ الـسَّـيْـفُ غَـيْـرَ قِـلَّـتِـهِـمْ
وَأَنْ تَـــكُـــونَ الـــمِـــئُـــونَ آلَافَـــا[٢]
يـــا شَـــرَّ لَـــحْـــم فَـــجَـــعْـــتُـــهُ بِـــدَم
وَزَّارَ لِـــلْـــخَـــامِـــعَـــاتِ أَجْـــوَافَـــا[٣]
قَـدْ كُـنْـتَ أُغْـنِـيـتَ عَـنْ سُـؤَالِـكَ بـي
مَـنْ زَجَـرَ الـطَّـيْـرَ لِـي وَمَـنْ عَـافَـا[٤]
وَعَـــدْتُ ذَا الـــنَّـــصْـــلَ مَـــنْ تَـــعَـــرَّضَـــهُ
وَخِـفْـتُ لَـمَّـا اعْـتَـرَضْـتَ إِخْـلَافـا[٥]
لا يُـــذْكَـــرُ الْـــخَـــيْـــرُ إِنْ ذُكِـــرْتَ وَلا
تُـتْـبِـعُـكَ الـمُـقْـلَـتَـانِ تَـوْكَـافَـا[٦]

(١) الهام، الواحد هامة: أعلى الرؤوس. الأقحاف، الواحد قحف، بكسر القاف: العظم الذي فوق الدماغ. يدعو الشاعر ألّا يرحم اللّه تعالى رؤوس عبيده الذين أطاح بهم بسيفه ففصلها عن أجسادهم.

(٢) ينقم: يعيب ويكره. للسيف حقّ في رقاب أمثال هؤلاء العبيد، لقد كره السيف قلّة عدد القوم، فالسيف يبغي لو يفتك بالآلاف منهم ليُخلّص الكون من شرّ العبيد الغادرين ومن كلّ عبد سوء في الوجود.

(٣) فجعه: أوجعه بحرمانه ممّا يُحبّ. الخامعات: الضباع تعرج في مشيها. يُخاطب الشاعر من قتل من عبيده بأنهم شرّ لحم أهدر دمه وتركه طعمة للضباع فلم تبق منهم شيئاً، فقد استقرّ في أجوافها.

(٤) يُخاطب الشاعر العبد الذي سبّب مقتله ومقتل رفاقه مستفسراً إذا ما طلب من يزجر الطير له إذ بإمكانه الغدر بسيده، وكان الأحرى به ألّا يلجأ إلى الغدر.

(٥) لقد وعد الشاعر سيفه أن يستعمله في حالة الغدر به، فقد سرق العبد خيوله، لذا كان عليه أن يصدق الوعد ويفي بما وعده، فكان ما كان من قتله عبده.

(٦) التوكاف: جريان الدمع وإسالته. يُخاطب الشاعر عبده المقتول أنه لا يُذكر إذا ذُكر =

إذا امْـــرُؤٌ رَاعَـــنِـــي بِـــغَـــدْرَتِـــهِ
أَوْرَدْتُـــهُ الْـــغَـــايَـــةَ الَّـــتِـــي خَـــافَـــا[1]

= الخير، فكلاهما على طرفي نقيض؛ فالخير حقّ والعبد باطل، ولذا فلن يبكيه ولن يأسف لقتله، فقد استحقّ جزاءً عادلاً.

(١) راعني: خافني. يذكر الشاعر أن من خافه وقد غدر به أوصله إلى حالة من الخوف بحيث يُورده مهالكه؛ فتلك الغاية التي سعى إليها بنفسه فاستحقّها بسوء عمله.